مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

eISSN: 2600-7096

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

مجلة علمية محكمة، ربع سنوية

Vol : 6 Special Issue : 3 Year : 2022 السنة: 2022 العدد الخاص : 3 المجلد: 6

في هذا العدد:

- ترجيحات المفسرين المعللة: دراسة تطبيقية على سور المفصل من خلال "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للإمام السعدي — هند بنت محمد زاهد سردار
- كظم الغيظ في القرآن الكريم: (المفهوم والوسائل والآثار) — نوال بنت محمد بن زاهد علي سردار
- الترجيح بصيغة الأولويّة عند الإمام الواحِديّ في تفسيره الوسيط — وائل بن محمد بن علي جابر
- دفع الإشكال وتحرير معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ — عبدالله بن حسين بن محمد العمودي
- المنهج الشرعي في معالجة الأزمات النفسية — عفاف عطية الله ضيف الله المعبدي
- ألفاظ الخلاف في نظم طيبة النشر في القراءات العشر — عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم إيدي
- المسائل الّتي احتجّ فيها ابن هشام اللّخميّ في الرّدّ على أبي بكر الزُّبيديّ بما جاء في كتاب العين في ضوء الأحاديث النّبويّة والآثار المرويّة — عبد الله محمد مسملي
- أثر اختلاف القراءات في استخراج الهدايات القرآنية: آيات صلة الرحم أنموذجا — ولاء بنت عبد الرحمن بن محمد البرادعي
- توجيه الصّفَاقُسيّ للقراءات في غيث النّفع في القراءات السّبع من سورة الزّمَر إلى آخر سورة الطّور — سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني
- معالم التوجيه والاحتجاج عند الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد البخاري في كتابه الشفاء — حبيب الله بن صالح بن حبيب الله السلمي
- موقف النسوية الإسلامية من نصوص الكتاب والسنة –نصوص تعدد الزوجات نموذجًا: دراسة نقدية — عبدالله بن محمد سعيد الكبكي
- مكانة العلماء وضرورة اجتماعهم وتعاونهم — سعد بن علي الشهراني
- التميز في الإسلام وعلاقته بالتوكل السببي في السنة النبوية — خميس مسعود محمد بن عاشور
- منهج الإمامية في الاستدلال بالكشف والإلهام والرؤى في إثبات الغيبيات — مواهب بنت علي منصور فرحان
- وسائل تعزيز ثقافة الاحتساب في التعليم العام للملكة العربية السعودية — علياء علي بكر فلمبان
- تصحيح العلامة المرداوي للمذهب الحنبلي — عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله حسن
- منهج الإمام ابن يونس الفقهي في كتابه "الجامع لمسائل المدونة" — أسامة بن أحمد بن سالم الجابري–عامر علي النعيمي
- الممتع في شرح المقنع للعلامة زين الدّين أبي البركاتِ المنجّى بن عثمان بن أسعد التّنوخيّ الحنبليّ ت 695هـ (من أول باب: ما يختلف به عدد الطلاق إلى آخر فصل: وإن قال: أنت طالق لأشربنَّ الماء): تحقيقٌ ودراسة — أنور بن حسين الحمراني

تصدرها

PUBLISHED BY

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES

AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

جامعة المدينة العالمية

Al-Madinah International University

Al–Madinah International University **eISSN: 2600-7096**
International Islamic Sciences Journal **V.6, Special Issue. 3, Oct 2022**

THE STATUS OF SCHOLARS AND THE NECESSITY OF THEIR UNITY AND COOPERATION

Saad Bin Ali Bin Mohammed Al Shahrani
Professor at the Department of Aqeedah - Umm Al-Qura University
E-mail: samshahrani@uqu.edu.sa

Abstract

The status of scholars in our religion is well-known, its evidence is extensive and famous, and the people's need for them is great. The research problem lies in answering several questions, the most important of which are: What are the manifestations of the cooperation of scholars? Should scholars cooperate with each other, or should each one of them work independently of the other? Research objectives are: highlighting the real role of scholars, their position, the manifestations of cooperation between them, understanding individual and institutional work, and what should be scholars? As for the importance of research: the nation is based on its scholars, and the arena has witnessed several attempts to bring them down and belittle them, Also, some conflicts may occur between some scholars, part of it as a result of not fully realizing the role assigned to them, as scholars gathered, not as individuals. So this research shows the aspects of cooperation, the necessity and usefulness of institutional work, as well as individual work and its usefulness, and a statement that the independence of the scholar is not incompatible with his cooperation with others. As for the research method: The research is based on the analytical-critical method, then the conclusion and recommendations: including the position of scholars in Islam is a middle ground between the fanatic and the hater, and there is an urgent need for scholars to spread the jurisprudence of the coalition, treat the opponent with truth and fairness, and stay away from injustice and unfairness..

Keywords: Scholars, Difference, Cooperation.

جامعة المدينة العالمية
مجلة العلوم الإسلامية الدولية
eISSN: 2600-7096
المجلد.6، العدد الخاص 3، أكتوبر 2022م

مكانة العلماء وضرورة اجتماعهم وتعاونهم

سعد بن علي الشهراني
الأستاذ بقسم العقيدة – جامعة أم القرى

الملخص

إن مكانة العلماء في ديننا معلومة، وأدلتها مستفيضة مشهورة، وحاجة الناس إليهم عظيمة، وتكمن مشكلة البحث في جوابه عن عدة أسئلة، أهمها: ما مظاهر تعاون العلماء؟ وهل يجب على العلماء أن يتعاونوا فيما بينهم، أم يعمل كل عالم بمنأى عن الآخر؟ وأهداف البحث: إبراز مكانة العلماء وإبراز مظاهر التعاون بينهم. وفهم العمل الفردي والمؤسسي، وما لذي ينبغي أن يكون عليه العلماء؟ أما أهمية البحث: فإن الأمة تقوم بعلمائها، وقد شهدت الساحة محاولات عدة لإسقاطهم والتقليل من شأنهم، كما أنه قد تحدث بعض النزاعات بين بعض العلماء، جزء منها نتيجة عدم الإدراك الكامل للدور المنوط بهم كعلماء مجتمعين وليس كأفراد، لذلك جاء هذا البحث يبين مظاهر التعاون، وضرورة العمل المؤسسي وفائدته، وكذا العمل الفردي وفائدته، وبيان أن استقلالية العالم لا تتنافى مع تعاونه مع غيره. أما منهج البحث: فيقوم البحث على المنهج التحليلي النقدي، ثم الخاتمة والتوصيات: ومنها مكانة العلماء في الإسلام وسط بين الغالي والجافي، وإن الحاجة ماسة لنشر العلماء فقه الائتلاف، ومعاملة المخالف بالحق والإنصاف، والبعد عن الظلم والإجحاف.

الكلمات المفتاحية: العلماء، الاختلاف، التعاون.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل – عليهم الصلاة والسلام – بقايا من أهل العلم، يدعون مَنْ ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله تعالى أهل العمى، فكم قتيلٍ لإبليس قد أحيوه؟! وكم ضالٍّ تائهٍ قد هدوه! فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم. ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

والصلاة والسلام على سيد العلماء، من ورّث العلم، وجعل شرف وراثته إلى العلماء العاملين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين حملوا عنه علمه، وبلغوا بعده دينه، فكانوا نعم الحمَلة، وأدوا ما سمعوا فكانوا خير المؤدين..

أما بعد.. فإن مكانة العلماء في ديننا معلومة، وأدلتها مستفيضة مشهورة، وحاجة الناس إليهم عظيمة، فحيثما وقعت الفتن، واختلطت الأمور، واحتاج الناس إلى من يمسك الزمام، ويبدد بعلمه الظلام، ولم يجدوا أنبياء لله ورسله، فليقصدوا ورثتهم الذين يقولون بقولهم ويدلُّون على هديهم، وليست تلك المنزلة لغيرهم، وإن سُئلتَ عن السبب فـ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة الزمر:9].

ولقد هيأ الله جل وعلا لهذه الشريعة الغراء من العلماء الأصفياء والأولياء الأخيار، والأتقياء الصالحين، من اتصلت محامدهم، وعلت مبانيهم، وجّمت مكارمهم، فلهم من كل فضيلةٍ السهم الأعلى، والقدح المعلى، فجردوا فيها العناية وأظهروا فيها الكفاية وصرفوا إليها اهتمامهم، فأوضحوا للناس ما التبس عليهم فهمه واستبهم، وبينوا لهم معاني القرآن وكثيراً من أسراره وأحكامه وبلاغته ومعجزاته.

قال ابن رجب رحمه الله: "فاقتضت حكمة الله سبحانه أن ضبط الدين وحفظه: بأن نصب للناس أئمة مجتمعاً على علمهم ودرايتهم وبلوغهم الغاية المقصود في مرتبة العلم بالأحكام والفتوى، من أهل الرأي والحديث. فصار الناس كلهم يعوِّلون في الفتاوى عليهم، ويرجعون في معرفة الأحكام إليهم .وأقام الله من يضبط مذاهبهم ويحرر قواعدهم، حتى ضبط مذهب كل إمام منهم وأصوله وقواعده وفصوله، حتى ترد إلى ذلك الأحكام ويضبط الكلام في مسائل الحلال والحرام.

وكان ذلك من لطف الله بعبادة المؤمنين، ومن جملة عوائده الحسنة في حفظ هذا الدين...[1]

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في توهم اعتراض بين العمل الفردي الذي يقوم به العلماء، وبين العمل المؤسسي والتعاون فيما بين العلماء لخدمة العلم وأهله، والبحث يبين هذه الإشكالية ويقدم حلولا لها.

[1] ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، **الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة** (ص: 6)، (المربي، الطبعة الأولى 1437هـ)

أسئلة البحث:

البحث يجيب عن عدة أسئلة، وهي:

1/ ما مظاهر تعاون العلماء فيما بينهم؟

2/ هل يجب على العلماء أن يتعاونوا فيما بينهم، أم يعمل كل عالم بمنأى عن الآخر.

3/ هل العمل الفردي مقدم أم العمل المؤسسي؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى عدد من الأمور من أهمها:

1/ إبراز مكانة العلماء.

2/ إبراز مظاهر التعاون بينهم.

أهمية البحث:

الأمة تقوم بعلمائها، وقد شهدت الساحة محاولات عدة لإسقاطهم والتقليل من شأنهم، كما أنه قد تحدث بعض النزاعات بين بعض العلماء، جزء منها نتيجة عدم الإدراك الكامل للدور المنوط بهم كعلماء مجتمعين وليس كأفراد، لذلك جاء هذا البحث يبين مظاهر التعاون، وضرورة العمل المؤسسي وفائدته، وكذا العمل الفردي وفائدته، وبيان أن استقلالية العالم لا تتنافى مع تعاونه مع غيره.

منهج البحث:

يقوم البحث على المنهج التحليلي الوصفي، فالبحث قد نشأ أولا عن تحليل بعض المظاهر الموجودة في نقد العلماء والتقليل من مكانتهم، وكذا عزوف بعض العلماء عن التعاون، ومن ثمَّ تقديم حلول، وبيان مظاهر التعاون، وطرح نظريات حول العمل المؤسسي والفردي وعلاقة ذلك بالاستقلالية، كل ذلك بعد تحليل الواقع وقراءته.

الدراسات السابقة:

أما أهم الدراسات السابقة فبعض الكتب المهمة مثل:

1. محمد منير سعد الدين، **العلماء عند المسلمين، مكانتهم ودورهم في المجتمع**، بيروت، دار المناهل، الطبعة الأولى، 1412 هـ.

2. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، **قواعد في التعامل مع العلماء**، دار الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى

1415هـ.

3. محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، **الإعلامُ بـ حُرمةِ أهلِ العلمِ والإسلامِ**، الرياض، دارُ طيبة – مَكتبةُ الكوثر، الطبعة الأولى، 1419 هـ – 1998 م

4. بحث: مكانة العلماء في الأمة لإسلامية د. طارق الخويطر منشور على شبكة الانترنت على موقع.-msf online.com

وبين هذه الأبحاث فروق عديدة تظهر من عناوين هذه الأبحاث وقد ركزت على جانب التعاون بين العلماء وقدمت توصيات عديدة أرجو أن تكون إضافة علمية على هذه الأبحاث المفيدة والمهمة، ولهذا عزمت مستعينا بالمولى عز وجل على الكتابة في هذا الموضوع لأهميته ومسيس الحاجة للبحث فيه.

المبحث الأول: العلماء، تعريفهم، ومكانتهم

المطلب الأول: من هم العلماء؟

هذه النقطة من الأهمية بمكان، إذ بسبب عدم إدراكها يقع الكثير من اللبس والفوضى وإدخال غير العلماء في سلكهم، والعلماء الذين أقصدهم في بحثي هذا: هم علماء الشريعة دون غيرهم، فمن هم علماء الشريعة؟

إن العلماء هم العارفون بشرع الله، المتفقهون في دينه، العاملون بعلمهم على هدى وبصيرة، الذين وهبهم الله ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [سورة البقرة:269][1]

والعلماء هم الذين جعل الله عز وجل عماد الناس عليهم في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا.[2]

والعالم حقا من تَوَلَّعَ بالعلم الشرعي، وألَمَّ بمجمل أحكام الكتاب والسنة، عارفا بالناسخ والمنسوخ، بالمطلق والمقيد، بالمجمل والمفسر، واطلع أيضا على أقاويل السلف فيما أجمعوا عليه واختلفوا فيه.

ولا ريب أن تحصيلهم لهذه الأحكام الشرعية قد استغرق وقتا طويلا، واستفرغ جهدا كبيرا، وأضافوا إلى ذلك أيضا عدم الانقطاع عن التعلم، وقد ورد في بعض الآثار أن موسى عليه السلام سأل ربه: أي عبادك أعلم؟ قال: "الذي لا يشبع من العلم"[3]. فمن كان هذا حاله فهو العالم الذي يستحق هذا اللفظ الجليل، إذْ هو المبلغ لشرع الله تعالى، المُوَقِّع عنه سبحانه وتعالى، القائم لله عز وجل بالحجة على خلقه ولو قَلَّ كلامه ونَدُر، أو عُدِم

---

[1] ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، **تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)** (327/3).

[2] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين** (7/1).

[3] أخرجه ابن عبدالبر في **جامع بيان العلم وفضله**، برقم (1512)، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1414هـ.

تأليفه.[1]

إن "ورثة الأنبياء" هم الذين يرثونهم علماً وعملاً، ويقتدون بهم في السرِّ والعلن، ويلتزمون منهجهم في الغضب والرضا والمنشط والمكره، ولا يكونون ﴿ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ [الحج:11]. أو كمن ﴿ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأعراف:176][2]

والعلم – الذي هو مصدر تشريف الله للعلماء – عِلْمان ينبغي أن يجتمعا في العالم، وكذلك العمل، فأما العلم فعلمٌ بواقعه الذي يعايشه وعلمٌ بحكم الله الواجب فيه، وكذلك العمل يجب أن يكون عملاً بمقتضى العِلْمَيْن.

والعلم الذي هو سبب التشريف وعلة التكريم قد يكون سبباً لشقاء الدنيا والآخرة، وموجباً للذم والمهانة عند الله وعند الناس إذا لم يقترن به من العمل ما ينفع صاحبه وأمته من بعده، بل قد يكون صاحبه من أول مَنْ تسعَّر بهم النار.

ولذلك فإنّ من الأهمية بمكان التأكيد على أن مَنْ يجتهدُ فيما يطيق من العمل الصالح ونفع الأمة بما معه من العلم هو في أشرف المنازل وأسناها، حتى ولو لم يكنْ من المتبحرين في علوم الشريعة أو الخائضين في لجَّتها، ولهذا لما ذُكر معروف الكرخي في مجلس الإمام أحمد "فقال بعض من حضر: هو قصير العلم، فقال له أحمد: أمسكْ عافاك الله! وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف؟!"[3]

ولعلَّ أهم صفات العلماء الربانيين: صفة "الخشية"، والتي جعلها الله من أخصِّ صفاتهم،كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:28]، ولذلك قال الإمام أحمد لابنه عبد الله لما سأله عن معروف هل معه من العلم شيء؟ قال: معه رأس العلم: الخشية.[4]

قال إبراهيم التيمي: "من أُوتي من العلمِ ما لا يبكيه لخليقٌ ألا يكونَ أوتي علماً؛ لأنَّ اللهَ نعتَ العلماء.." ثم تلا قول الله تعالى: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ١٠٩﴾ [الإسراء:107-109][5].

فأهل الخشية من العلماء هم الذين يعبرون عن قناعاتهم التي أداها إليهم اجتهادهم، مستحضرين الله سبحانه

---

[1] ينظر: عبد السلام برجس آل عبد الكريم، **من هم العلماء؟** محاضرة منسوخة.

[2] ينظر: دور العلماء في قيادة الأمة، **موقع المسلم**.

[3] ابن أبي يعلى، أبو الحسين ابن أبي يعلى محمد بن محمد، **طبقات الحنابلة** (382/1)، المحقق: محمد حامد الفقي، بيروت دار المعرفة.

[4] **المصدر السابق**.

[5] خالد اللاحم، **مفاتح تدبر القرآن**، (ص: 17).

وحده، دون اعتبار لأهوائهم، ولا أهواء الناس مهما بلغ قدرهم، ويصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ [الأحزاب:39]، قال ابن كثير: "أي: يخافونه ولا يخافون أحدا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله"[1].

المطلب الثاني: الأدلة على مكانة العلماء في الإسلام:

إنّ النصوص من الكتاب والسنة تتابعت على بيان فضل العلماء ومكانتهم، وسأذكر طرفاً منها:

أ: الأدلة من القرآن الكريم:

1. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران:18].

ففي هذه الآية استشهد الله سبحانه وتعالى بأولي العلم من خلقه على أجلِّ مشهود عليه وهو توحيده سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة، وهذا يدل على فضل العلماء من وجوه كثيرة: فقد استشهد تعالى بهم، ولم يستشهد بغيرهم من البشر، وقرن شهادتهم بشهادته سبحانه وتعالى، ومضمون هذه الشهادة تزكيتُهم وتعديلهم، فإن الله سبحانه وتعالى لا يُشهد من خلقه إلا العدول، وهو سبحانه استشهد بهم على أجلِّ مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله، ومن المعلوم أنّ عظيم القدْر إنّما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

ومما يدل على فضلهم في كتاب الله عز وجل أنه سبحانه نفى التسوية بين أهل العلم وبين غيرهم، مما يدل على غاية فضلهم وشرفهم، فقال الله عز وجل:﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر:9].

والمعنى هل يستوي من كان عالما بربه، عالما بأحكام الشرع عالما بجزاء الله عز وجل، ومن لا يعلم شيئا من ذلك؟ الجواب: كلا، لا يستوون، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار.

2. ومما يدل على فضلهم في كتاب الله عز وجل قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة:11]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير ابن كثير** (تفسير القرآن العظيم)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م).

كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:269]، والحكمة هي العلم النافع والعمل الصالح.

3. قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:43]، قال ابن كثير: "أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم، المتضلعون منه"[1]

4. قوله عز وجل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة:11].

5. قوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [سورة فاطر:28]، قال ابن كثير: "أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، وكانت الخشية له أعظم وأكثر.[2]

ب: الأدلة من السنة النبوية:

أما سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي مليئة بالثناء عليهم، والحثِّ على توقيرهم واحترامهم؛ لعِظَم العلم الذي قام بهم، ولشرف العلم الذي وَقَرَ في أفئدتهم.

1. فمن ذلك ما رواه الشيخان عن معاوية رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ يُرِدِ اللهُ به خَيراً يُفَقِّهْهُ في الدّين"[3]

والفقه هنا هو العلم المستلزم للعمل، فدلّ الحديث على أنّ من أراد الله سبحانه وتعالى به خيرا وفقه لهذا الفقه ويسّره له، وهذا هو مقام العلماء.

2. ما رواه الشيخان أيضا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ. وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النّاسَ. فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعَوْا. وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَىَ، إِنّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلّمَ. وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً. وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»

---

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير ابن كثير (279/6)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية 1420هـ.

[2] طارق الخويطر، **مكانة العلماء في الأمة الإسلامية**، وينظر: محمد منير سعد الدين، **العلماء عند المسلمين، مكانتهم ودورهم في المجتمع** (ص: 11)، وعبدالرحمن بن معلا اللويحق، **قواعد في التعامل مع العلماء** (ص: 43-72).

[3] متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، برقم (71)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم (1037).

ففي هذا الحديث العظيم تشبيهان بليغان:

التشبيه الأول: تشبيه العلم والهدى الذي جاء به الرسول (بالغيث؛ أي بالمطر، بجامع أن كُلاً منهما تحصل به الحياة وتنشأ عنه المنافع: (فالماء تحصل به حياة الأرض كما قال جل وعلا عن الغيث ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر:9]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة البقرة:164].

كما أن العلم والهدى تحصل به حياة الروح كما قال الله عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام:122]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:24].

والتشبيه الثاني: تشبيه القلوب بالأرض؛ بجامع أن كُلاً منهما محل للتَّقَبُّل: فالأرض ينزل عليها المطر، كما أن القلوب يقع عليها العلم، فهذا محل للعلم، وهذا محل للماء.

ثم قسَّم النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى ثلاثة أقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظ وفهم العلم الذي أرسل به النبي صلى الله عليه وسلم.

فالقسم الأول: من جمع بين الفضيلتين؛ حفظ الشريعة الإسلامية والفهم فيها، فهو يحفظ نصوصها، ويفهم مراد الشارع من هذه النصوص، فيُوفَّق لموافقة الصواب، وهذا القسم هو الذي أشار إليه الحديث بقوله: (فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ)

والقسم الثاني من الناس: من حصل على فضيلة من الفضيلتين، وهي الحفظ فقط، دون فهم المعاني واستنباط الأحكام، وهذا القسم هو الذي أشار إليه الحديث في قوله: (وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النّاسَ).

القسم الثالث: من حُرم الفضيلتين؛ فلم يُعط حفظا ولم يُعط أيضا فهما، فهُم بمنزلة الأرض التي هي قيعان لا تنبت ولا تمسك الماء.

فأما القسمان الأول والثاني فالإشارة إلى حُكمهما في قوله (فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلّمَ) أي علم في نفسه أولا، ثم أبدى علمه إلى الناس فانتفعوا به في تبيين الحلال من الحرام.

أما القسم الثالث فالإشارة إلى حكمة في قوله (وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)، فظهر بهذا التشبيه في هذا الحديث فضل العلماء ومكانتهم وعموم نفعهم.

3. ومما ورد في ذلك أيضا: ما رواه أبو داوود والترمذي، وهو حديث صحيح، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي بِهِ عِلْماً سَلَكَ الله له طَرِيقاً إِلَى الْجَنّةِ، وَإِنّ الملاَئِكَةَ لتَضَعُ أَجْنَحِتَهَا رِضًى لِطَالِبِ العِلْمِ بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنّ العَالِمِ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السّمَواتِ وَمَنْ فِي ٱلأَرْضِ حَتّى الْحِيتَانُ فِي الماءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وإِنّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً، وإِنّمَا وَرّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ»[1]

فهذا الحديث العظيم يبين فضل العلماء بيانا كافيا من وجوه عديدة منها: تعظيم الملائكة لأهل العلم وحبها لهم، وأنّ كل مخلوق في السماوات و في الأرض يستغفر لهذا العالِم، حتى أن الحوت الذي في الماء لينطق بالاستغفار؛ فيطلب المغفرة لهذا العالِم، والحكمة في ذلك –والله تعالى أعلم– أنّ العالم هو سبب في نجاة العباد بما يأمرهم به من معروف وينهاهم عن منكر، وفعله هذا يعود على كل مخلوق بالنفع والبركة؛ فالحيوانات تُصيبها بركة طاعة العُبَّاد والعباد، كما تُؤَثِّر عليها معاصي العباد، وكذلك الأرض والشجر، ونحو ذلك، فلمّا كان فِعْل العالم بتعليم العلم والدعوة إلى الهدى، يَعُمُّ نفعه كل موجود جُوزِيَ من جنس عمله؛ فجُعِل مَن في السماوات ومن في الأرض ساعيا في نجاته من أسباب الهلكات باستغفارهم له.

وقد قارن هذا الحديث بين العالم والعابد، وهذه المقارَنة تبين منزلة كل واحد منهما؛ فالعالم بالنسبة للعابد يُشَبَّه بالقمر بالنسبة إلى الكواكب، وبهذه المقارنة يتميز ويتجلى فضل العالم على العابد، فكيف بمن سوى العابد؟ فالعالم بمنزلة القمر الذي يضيء الآفاق كلَّها، ويمتد نوره في أقطار العالم، أما العابد فهو بمنزلة الكوكب لا يتجاوز نوره نفسه أو ما يقرب من محيطه– ولذا قال ابن عباس وغيره من السلف ولا يصح مرفوعا"فقيه واحد أشَدُّ على إبليس من ألف عابد"[2] ويبين هذه الحقيقة ما ذكره ابن عبد البر رحمه الله تعالى في"جامع بيان العلم وفضله" عن ابن عباس أنه قال"إن الشياطين قالوا لإبليس: مالنا نراك تفرح بموت العالم ما لا تفرح بموت العابد؟ فقال: انطلقوا، فانطلقوا إلى عابد قائم يصلي، فقالوا: له إنا نريد أن نسألك، فانصرف فقال له إبليس: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ فقال: لا. فقال: أترونه كفر في ساعته. ثم جاء إلى عالم في حلقة يضاحك أصحابه ويحدثهم، فقال: إنا نريد أن نسألك. فقال: سل. فقال: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة. قال:نعم. فقال: وكيف؟ قال: يقول لذلك: (كن فيكون). قال إبليس: أترون ذلك لا يعدو نفسه، وهذا يفسد عليَّ عالَما كثيرا"[3]

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، برقم (3641)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود بنفس رقم الحديث.

[2] أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم (222).

[3] ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد ابن عبدالبر، **جامع بيان العلم وفضله**، (26/1)، بيروت، دار الكتب العلمية، 1398هـ.

ومن أوجه فضل العلماء في هذا الحديث أن جعل العلماء ورثة الأنبياء، وهذا من أعظم المناقب لأهل العلم؛ فإنّ الأنبياء خير خلق الله تعالى، فورثتهم خير الخلق بعدهم، وقد دلّ ذلك بمفهومه على أن العلماء أقرب الناس إلى الأنبياء؛ لأنّ الميراث إنّما يكون لأقرب الناس إلى المورث.

كما أفاد أيضا حثَّ الأمة على طاعتهم، واحترامهم، وتوقيرهم، وإجلالهم، فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة.

4. وحديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت يصلون على معلمي الناس الخير"[1]

5. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: "تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والزين عند الأخلاء، والقرب عند الغرباء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخلق قادةً يقتدى بهم، وأئمة في الخلق تقتص آثارهم، وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في حفهم بأجنحتها تمسحهم، حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها، لأن العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأحرار ومجالسة الملوك، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والفكر به يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الله عز وجل، وبه يعبد الله عز وجل، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، إمام العمل والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء[2].

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالأخذ من العلم قبل أن يرفع، وذلك فيما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: (هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء) فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن، فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا؟ قال: (ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوارة والإنجيل عند اليهود والنصارى: فماذا تغني عنهم؟[3]

وهذا رد على من زعم أن وجود الكتب يغني عن العلماء، وأن موت العلماء ليس بتلك المصيبة، لأنه كما

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه في أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، برقم (2685).

[2] ينظر: ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد ابن عبدالبر، **جامع بيان العلم وفضله**، (115/1)، بيروت، دار الكتب العلمية، 1398هـ.

[3] رواه الترمذي في سننه في أبواب العلم، باب ماجاء في ذهاب العلم برقم (2653)

يتوهم أنه يستطيع أن يبين الحكم ويستنبط المسائل ويرجح عن طريق الكتب.

قال ابن حجر: "وفي حديث أبي أمامه من الفائدة الزائدة أن بقاء الكتب بعد رفع العلم بموت العلماء لا يغني من ليس بعالم شيئاً".[1]

حاجة الأمة إلى العلماء في النوازل والأزمات: تشتد حاجة الأمة إلى تعاون العلماء، وذلك وقت النوازل والأزمات، لأن من شأن الفتن أن تشتبه الأمور فيها، ويكثر الخلط وتزيغ الأفهام والعقول، والعصمة حينذاك إنما هي للجماعة التي يمثل العلماء رأسها، فالواجب على الناس: الراعي والرعية، الأخذ برأي العلماء والصدور عن قولهم.

لأن اشتغال عموم الناس بالفتن، وإبداء الرأي فيها، ينتج عنه مزيد فتنة وتفرق للأمة، فالأمور العامة من الأمن أو الخوف مردها إلى أهل العلم والرأي، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء:83].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة مما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين أو بالخوف والذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول صلى اله عليه وسلم وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين وسروراً لهم وتحرزاً من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا ما فيه مصلحة، ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء: 83] أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة مهمة وهي: أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور، ينبغي أن يوكل إلى من هو أهل لذلك، ويُجعل إلى أهله، ولا يُتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب للصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ"[2]

وإن تولي العامة زمام الأمور في النوازل والفتن يشتت المسلمين ويفرق وحدتهم، ولأن العوام لا يتصور اتفاقهم على أمر إذا لم يكن لهم سراةٌ يصدرون عن رأيهم، ولذلك كان الرد إلى أهل الحل والعقد.

يقول الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه لله: "فالواجب علينا التثبت وعدم التسرع، والله سبحانه وتعالى أمرنا بالتثبت فيما يختص بالعامة من الأمة، وجعل أمور السلم والحرب والأمور العامة جعل المرجع فيها إلى ولاة

---

[1] ينظر: طارق الخويطر، **مكانة العلماء في الأمة الإسلامية**.

[2] السعدي، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تفسير السعدي (ص: 190)، (مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ)

الأمور وإلى العلماء خاصة، ولا يجوز لأفراد الناس أن يتدخلوا فيها، لأن هذا يشتت الأمر ويفرق الوحدة، ويتيح الفرصة لأصحاب الأغراض الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر"[1]

كما أن العوام يصعب اجتماع كلمتهم وإجماعهم وتوافقهم، ولهذا كان الرجوع إلى كبرائهم وعرفائهم ورؤسائهم ليتجلى حقيقة رأيهم، ففي غزوة حنين جاءت هوازن بعد قسمة الغنائم تطلب قسمة الأموال والسبي، فخيرهم النبي صلى الله عليه وسلم بينهما فاختاروا السبي، فخطب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال: إن إخوانكم هؤلاء جاءونا تائبين، وإني أردت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيّب ذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل، فقال الناس: طيبنا يا رسول الله، فقال لهم: إنا لا ندري من أذن منكم فيه ممن ل يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبروه أنهم طيبوا وأذنوا[2].

فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم مردّ معرفة آراء العوام إلى العرفاء ورؤوس الناس، والعلماء في مقدمتهم.

المبحث الثاني: مظاهر تعاون العلماء

إن العلماء هم أولى الناس بتطبيق مبدأ الولاء والبراء، وأعلمهم بمقتضى هذه العقيدة، والتي تستلزم نصرة المؤمنين بعضهم لبعض ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:71]، والمتتبع لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يلحظ تربيته لصحابته على هذا المنهج في التآخي والتعاون على البر والتقوى، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم في المدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم"[3]

هكذا لقن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته هذا المعيار الدقيق للولاء والانتماء، وكان أولى الناس بالتزام هذا المعيار العلماء الذين هم ورثته صلى الله عليه وسلم، فكانوا يزنون الأشخاص ويحددون أقداره تبعاً لمقدار نفعهم للإسلام وأهله، ونكايتهم لأعداء الإسلام وأهله، وكانت رقعة محبتهم للشخص تتسع بقدر محبته لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإن من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب خُدامه وأصحابه، وأحب حملة العلم والقرآن.

قال المروذي: (قدم رجل من طرسوس، فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل؛ رفعوا أصواتهم

---

[1] الشيخ صالح الفوزان، وجوب التثبت من الأخبار واحترام العلماء (ص: 11).

[2] ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **السيرة النبوية** (670/3)، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1395هـ.

[3] رواه **البخاري** في صحيحه في كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض، رقم (2486) و**مسلم** في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم. رقم (2500)

بالدعاء: "ادعوا لأبي عبد الله") يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.[1]

وإن مظاهر تعاون العلماء فيما بينهم كثيرة جداً، وسأشير إلى طرف يسير منها، على سبيل التمثيل لا الحصر، وذلك من خلال المطالب الآتية الآتية:

المطلب الأول: الثناء الحسن بين العلماء:

إن ثناء العلماء بعضهم على بعض، يدل على عمق الرابطة الأخوية والإيمانية فيما بينهم، فلا تحاسد ولا تباغض، بل هو الثناء الحسن، وذكر المناقب والمآثر، ونشر الفضائل، وهذا دليل على قلوب نقية، وأفئدة لا تنبض إلا بالحب الصادق، والمودة الحقيقية.

وهذه سنة توارثها العلماء، عن سلف هذه الأمة، فعن يحي بن عمر قال: ذكر عمر فضل أبي بكر، فجعل يصف مناقبه ثم قال: "وهذا سيدنا بلال حسنة من حسناته"[2]

وهذا ابن عمر رضي الله عنه، وهو من هو، يتواضع لمفتي مكة عطاء، مع أنه تابعي: فعن عمر بن سعيد عن أمه قالت: (قدم ابن عمر مكة فسألوه فقال: "أتجمعون لي يا أهل مكة المسائل، وفيكم ابن أبي رباح! يعني عطاءً)[3]

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: (أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال: يا بني! كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر! هل لهذين من خلف، أو عنهما من عوض؟)[4]

وما أحسن ما نسب إلى الشافعي رحمه الله من قوله[5]:

قالوا يزورك أحمد وتــزوره قلت الفضائــل لا تغادر منزله
إن زارني فلفضله، أو زرته فلفضله، فالفضل في الحالين له

وقال حاشد بن إسماعيل: (كنت بالبصرة، فسمعت قدوم محمد بن إسماعيل -أي البخاري- فلما قدم قال بُندار: "اليوم قدم سيد الفقهاء")[6]

---

[1] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (210/11)

[2] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** (340/1)

[3] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **صفة الصفوة** (143/2) وقد روي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (81/5)

[4] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (45/10).

[5] الألوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين** (ص: 195).

[6] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد** (16/2)

المطلب الثاني: الدفاع والذب عن الأعراض بين العلماء:

من مظاهر التعاون والولاء بين العلماء: دفاعهم وذبهم عن بعضهم، وهذا يجسد أن العلم رحم بين أهله، فالواحد منهم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فيدافع عن أخيه إذا ذُكر بسوء، ويذب عن عرضه إذا اتهم بباطل.. ولهذا نماذج، منها:

ما حكاه عمرو بن خالد أن رجلاً نال من عائشة عند عمار، فقال: اغرب مقبوحاً منبوحاً، أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟[1]

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه عن غزوة تبوك: (ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم تبوك ذكرني، وقال: "ما فعل كعب؟" فقال رجل من قومي: خلفه يا نبي الله برداه والنظر في عطفيه، فقال معاذ رضي الله عنه: "بئسما قلت، والله لا نعلم إلا خيراً")[2]

وإذا همّ أحدهم أن يتكلم في واحد منهم، ثار البقية ومنعوه من ذلك، مجسدين ومؤكدين مفهوم الأخوة، والنصرة التي تعني ضمن ما تعنيه: كف الأخ لأخيه عن الظلم.

قال عباد بن عباد: (أراد شعبة أن يقع في خالد الحذاء أحد الأئمة الحفاظ الأعلام، فأتيته أنا وحماد بن زيد فقلنا له: مالك؟ أجُننت؟ وتهددناه، فسكت)[3]

وهم يدافعون عن بعضهم، ويشفعون لهم إذا بدر منهم زلل أو خطأ، إذ لما زل الإمام الحافظ وكيع بن الجراح زلة عالم فروى خبراً منكراً فأتته فيه سكتة، كادت نفسه تذهب غلطاً، فاجتمعت قريش، وأرادوا صلب وكيع، ونصبوا خشبه لصلبه، فجاء سفيان بن عيينة، فقال لهم: الله الله! "هذا فقيه أهل العراق وابن فقيهه، وهذا حديث معروف"، قال سفيان: ولم أكن سمعته إلا أني أردت تخليص وكيع.

وكان قد رفع أمره إلى العثماني متولي مكة، فحبسه، وعزم على قتله، ونصبت خشبة خارج الحرم، وبلغ وكيعاً، وهو محبوس، قال الحارث بن صديق: فدخلت عليه لما بلغني، وقد سبق إليه الخبر، قال: وكان بينه وبين ابن عيينة يومئذ متباعَد، فقال لي: "ما أرانا إلا قد اضطررنا إلى هذا الرجل، واحتجنا إليه"، فقلت: "دع عنك هذا، فإن

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه في أبواب المناقب، باب من قضل عائشة رضي الله عنها، رقم (3888) وحسنه، ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، **الطبقات الكبرى** (65/8)، أبو نعيم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، **وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (44/2).

[2] قطعة من حديث طويل **رواه البخاري في صحيحه** في كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك برقم (**1833**)، و**مسلم** في صحيحه في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه برقم (2769).

[3] ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب** (122/3) والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (191/6).

لم يدركك قتلت"، فأرسل إلى سفيان وفزع إليه، فدخل سفيان على العثماني، فكلمه فيه، والعثماني يأبى عليه، فقال له سفيان: "إني لك ناصح، هذا رجل من أهل العلم، وله عشيرة، وولده بباب أمير المؤمنين، فتشخص لمناظرتهم"، قال: فعمل فيه كلام سفيان، فأمر بإطلاقه..[1]

ولما اقتيد الإمام الشافعي مكبلاً بالحديد إلى بغداد سنة 184 هـ إثر اتهامه زوراً بالتحريض ضد العباسيين، وناقشه الخليفة الرشيد، بحضور محمد بن الحسن الشيباني الذي كان قاضي بغداد في ذلك الوقت، والذي استأنس الشافعي به لما رآه في مجلس الرشيد عند الاتهام، ولأن العلم رحم بين أهله؛ قال الشافعي مخاطباً الرشيد: "إن لي حظاً من العلم، وإن القاضي محمد بن الحسن يعرف ذلك"، فسأل الرشيد محمداً، فقال: "له حظ من العلم كبير، وليس الذي وقع عليه من شأنه"، وكانت تلك الشهادة من الإمام محمد بن الحسن رحمه الله سبباً في نجاة الشافعي، وتبرئته من الاتهام الكاذب[2]

(ولما وقعت المناظرة للإمام ابن تيمية مع الشافعية، وبحث مع الصفي الهندي، ثم ابن الزملكاني، بالقصر الأبلح، شرع الإمام أبو الحجاج المزي رحمه الله يقرأ كتاب "خلق أفعال العباد" للبخاري، وفيه فصل في الرد على الجهمية، فغضب بعض الفقهاء، وقالوا: "نحن المقصودون بهذا"، فبلغ ذلك القاضي الشافعي يومئذ، فأمر بسجنه، فتوجه ابن تيمية وأخرجه من السجن، فغضب النائب، فأعيد، ثم أفرج عنه"[3]

وتكلم الإمام المحقق ابن قيم الجوزية حول درجة الفتوة، ثم قال رحمه الله: "ومن أراد فهم هذه الدرجة كما ينبغي؛ فلينظر إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس يجدها هذه بعينها، ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه، ثم للورثة منها بحسب سهامهم من التركة، وما رأيت أحداً قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: "وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه" وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم.

وجئته يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذىً له، فنهرني وتنكر لي، واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزّاهم، وقال: "إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه" ونحو هذا الكلام، فسروا به، ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه"[4]

واستفتى السلطان محمد بن الملك المنصور قلاوون شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى في قتل بعض

---

[1] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (160/9، 163).

[2] **تاريخ المذاهب الإسلامية** (234/1).

[3] ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** (234/5)، (ت: 5122).

[4] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** (345/2).

القضاة بسبب ما كانوا تكلموه في حق شيخ الإسلام[1]، وأخرج السلطان من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله.

قال شيخ الإسلام: ففهمت مقصوده أن عنده حنقاً شديداً عليهم، لما خلعوه، وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، أما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي، وسكّنت ما عنده عليهم.

قال: فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف، أقضى المالكية، يقول بعد ذلك: "ما رأينا أتقى من ابن تيمية، لم نُبقِ ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا"[2]

المطلب الثالث: حزنهم لموت الواحد منهم:

ومما يدل على عمق الروابط الأخوية والعلمية بين العلماء، ومعرفتهم لأقدار بعضهم بعضا، حزنهم لفقد الواحد منهم.

قال الحسن: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "موت العالم ثلمة في الإسلام، لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار"[3]

فإذا مات العالم: "بكى عليه كل الخلق، حتى الطير في الهواء، والسمك في الماء، لانتفاعهم به في تبيين الأحكام عليهم، فيرتفع عنهم العذاب لأجل علمه، لأن التصرف فيهم بالجهل عذاب لهم"[4]

وقال أيوب: إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأني أفقد بعض أعضائي.

وأخرج اللالكائي أن حماد بن زيد قال: كان أيوب يبلغه موت الفتى من أصحاب الحديث، فيرى ذلك فيه، ويبلغه موت الرجل يذكر بعبادة فما يرى ذلك فيه.

وقال أيوب: إن الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وقال يحيى بن جعفر: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل -أي البخاري- من عمري لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموته ذهاب العلم.

---

[1] وكان هؤلاء العلماء والقضاة هم الذين حكموا على شيخ الإسلام بالحبس ثمانية عشر شهرا، وكانوا هم أنفسهم الذين مالئوا بيبرس الجاشنكير خصم السلطان محمد بن قلاوون عليه.

[2] ابن عبدالهادي، محمد بن أحمد عبد الهادي المقدسي، **العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية** (ص: 187)، وانظر: ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين، **الرد الوافر** (ص: 197)، و ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **البداية والنهاية** (54/14).

[3] البربهاري، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، **شرح السنة** (317/1).

[4] ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، **المدخل** (84/1).

وهم يأسون على بعضهم حتى مع وجود الخلاف العلمي فيما بينهم.

فعن عبيد الله بن عبد الكريم قال: كان محمد بن داود خصماً لأبي العباس بن سريج القاضي، وكانا يتناظران، ويترادّان في الكتب، فلما بلغ ابن سريج موته نحّى مخاده، ومشاوره، وجلس للتعزية، وقال: ما آسى إلا على تراب أكل لسان محمد بن داود.

ونظرة إلى مراثي الأئمة في إخوانهم من العلماء تعكس صدق هذه المشاعر الحارة. وتكفينا هنا إشارة إلى قول الإمام الزمخشري صاحب الكشاف في رثاء شيخه أبي مضر منصور:

وقائلة: مـا هـذه الـدرر التـــي تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت: هو الدر الذي كان قد حشا أبو مضر أذني.. تساقط من عيني[1]

المطلب الرابع: دعاء العلماء لبعضهم:

وهذا الدعاء اعتراف بالجميل، ومكافأة للصنيع الحسن، وقد قال الشافعي: الحر من راعى وداد لحظة، وانتمى لمن أفاده لفظة.

عن أم الدرداء قالت: كان لأبي الدرداء ستون وثلاثمائة خليل في الله، يدعو لهم في الصلاة، فقلت له في ذلك، فقال: إنه ليس رجل يدعو لأخيه في الغيب، إلا وكل الله به ملكين يقولان: "ولك بمثل". أفلا أرغب أن تدعو لي الملائكة؟[2]

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: ما مددت رجلي نحو دار أستاذي حماد إجلالاً له،و كان بين داري وداره سبع سكك، وما صليت صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه أو علمني علما.

وقال أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة: إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبوي، ولقد سمعت أبا حنيفة يقول: إني لأدعو لحماد مع أبويّ.

قال ابن راهويه رحمه الله: قلّ ليلة إلا وأنا أدعو فيها لمن كتب عنا، ولمن كتبنا عنه.

وقال الحارث بن سريج: سمعت يحيى القطان يقول: أنا أدعو الله للشافعي، أخصه به.

وقال الإمام أحمد: ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له.

قال ابن أبي حاتم: رأيت في كتاب عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني، المعروف برستة، إلى أبي زرعة بخطه:

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** (607/4).

[2] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، (حديث 1541).

اعلم رحمك الله أني ما أكاد أنساك في الدعاء لك ليلي ونهاري: أن يمتع المسلمون بطول بقائك، فإنه لا يزال الناس بخير ما بقي من يعرف العلم، وحقه من باطله.. وقد جعلك الله منهم..

وسأل رجل الإمام أحمد فقال: بالري شاب يقال له: أبو زرعة، فغضب أحمد، وقال: تقول: شاب؟ – كالمنكر عليه–، ثم رفع يديه وجعل يدعو الله عز وجل لأبي زرعة، ويقول: اللهم انصره على من بغى عليه، اللهم ادفع عنه البلاء، اللهم..، اللهم.. في دعاء كثير.

وقال عبد الله بن أحمد: ربما سمعت أبي في السحر يدعو لأقوام بأسمائهم.

وكان لأبي حمدون –أحد القراء المشهورين– صحيفة فيها مكتوب ثلاثمائة من أصدقائه، وكان يدعو لهم كل ليلة، فتركهم ليلة فنام، فقيل له في نومه: يا أبا حمدون، لمَ لمْ تسرج مصابيحك الليلة؟ فقعد فأسرج، وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ.[1]

المطلب الخامس: معونة بعضهم لبعض:

كانت الرابطة الأخوية العميقة بين العلماء تتجلى في صور شتى، منها تقديمهم المعونة لبعضهم، بشتى أشكالها، من معونة معنوية ومادية وعلمية.

ولأن النماذج في هذا الباب كثيرة جداً، نقتصر على ذكر القليل اليسير منها..

فمن المعونة المعنوية: تثبيت العلماء لبعضهم في أوقات الشدائد، وشد أزرهم بالكلمات التي تثبتهم على مبادئهم، وتحميهم من الالضعف والانهيار.. فعندما كان أحمد بن حنبل يضرب للقول بخلق القرآن، قال عاصم بن علي الواسطي: ألا رجل يقوم معي فنأتي هذا الرجل فنكلمه قال فما يجيبه أحد ثم قال ابن أبي الليث أنا أقوم معك يا أبا الحسين فقال يا غلام خفي فقال ابن أبي الليث يا أبا الحسين أبلغ إلى بناتي فأوصيهم فظننا أنه ذهب يتكفن ويتحنط ثم جاء فقال إني ذهبت إليهن فبكين قال وجاء كتاب ابنتي عاصم من واسط يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل فضربه على أن يقول القرآن مخلوق فاتق الله ولا تجبه فوالله لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك أجبت.[2]

وأما المعونة المادية: فقد كان الغني من العلماء يمد الفقير بما يحتاجه لمواجهة أعباء الحياة، وكان بعضهم يتاجر من أجل توفير الحياة الكريمة لزملائه من العلماء، كابن المبارك، الذي علل إنفاقه على العلماء بقوله: "إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث فأحسنوا طلبه، لحاجة الناس إليهم احتاجوا، فإن تركناهم ضاع

---

[1] محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، **الإعلامُ بـ حُرمةِ أهلِ العلمِ والإسلامِ** (ص: 149).

[2] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد** (248/12) وينظر، ترجمة الإمام عاصم بن علي، في: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **سير أعلام النبلاء**.

علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد –صلى الله عليه وسلم–، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم"[1]

كان يقول: لولا خمسة ما اتجرت، فقيل له: يا أبا محمد، من الخمسة؟ فقال: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، ومحمد بن السماك، وابن علية.

وكان يخرج فيتجر إلى خراسان فكلما ربح من شيء أخذ القوت للعيال ونفقة الحج والباقي يصل به إخوانه الخمسة[2]

قال الذهبي: كان ابن المبارك غنياً شاكراً، رأس ماله نحو الأربعمائة ألف.

قال علي بن خَشْرم: قلت لعيسى بن يونس: كيف فضلكم ابن المبارك ولم يكن بأسن منكم؟ قال: كان يقدم ومعه الغِلْمة الخرسانية، والبزَّة الحسنة، فيَصِل العلماء، ويعطيهم، وكنا لا نقدر على هذا[3]

وأما المعونة العلمية: فتتمثل في صور كثيرة، منها: إعارة الكتب، ونموذج ذلك: أبو الحسن بن محمد بن حمدون: الذي قال: ما بخلت بإعارة كتاب قط، ولا أخذت عليه رهناً، ولا أعلم أنه مع ذلك فقدت كتاباً في عارية قط..[4]

المطلب السادس: معوقات التعاون بين العلماء:

1. الاستبداد بالرأي والإعجاب به والخوف من تعلق الأتباع بالآخرين حال التعاون معهم:

وهذا الأمر قد يشوب إخلاصه ويضيع بسببه الكثير من المصالح، ولا بد هنا من التذكير بالاقتداء بالسلف الصالح، الذين كانت راحتهم وسعادتهم في حصول المطلوب دون تنافس على صدارة، بخلاف ما آلت إليه أمورنا من تأثرنا بالصراع الإعلامي من أجل الظهور والتصدر.

2. حب الرئاسة والزعامة:

والظن أن التنازل عن الرأي والرئاسة في سبيل حصول التكامل والتعاون ضعف أو هزيمة: وما ذاك إلا محض تزيين شيطان حتى لا تقوم لأهل الإسلام قائمة، بل وربما يأتي الشيطان للعلماء من مدخل "أنتم أفضل من غيركم، وأنتم أصحاب المثالية؛ فلا تسمحوا لهم أن يكون أحدهم في المقدمة.."، ومن ثم يصرون على مقاماتهم وصدارتهم على حساب مصلحة الأمة كلها. ويرد على هذا التفكير السقيم بتزكية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضى الله عنه؛ بسبب تنازله عن مكانه –مع فضله– وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم" ابني هذا سيد،

---

[1] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (387/8)

[2] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، (159/10)

[3] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (409/8)

[4] ياقوت الحموي، **معجم الأدباء** (187/9، 188) وينظر: محمد منير سعد الدين، **العلماء عند المسلمين، مكانتهم ودورهم في المجتمع**، (ص: 49).

ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ."وقد حدث ذلك بتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنهما طلبًا لوحدة المسلمين، حتى سُمى هذا العام بعام الجماعة؛ لاجتماع الناس بعد هذا الموقف العظيم من الحسن رضى الله عنه.

3. السماع عن الآخرين أكثر من السماع منهم:

فمن العجب أن تجد عالماً يرفض التعاون مع آخر بحجة أنه سمع أن به كيت وكيت، وربما كان هذا الآخر في المنزل المجاور له فلا يفكر الأول في السماع منه مباشرة؛ مع أنه لو فعل لقضي الأمر.

إن أهم خطوات التعاون أن يسمع بعضنا بعضًا دون واسطة، وأن يرى بعضنا بعضًا في المجالس لا من خلال الشاشات، وكم من المصالح تعطلت بسبب سماع العلماء بعضهم عن بعض، بدلًا من سماعهم من بعض.

4. توهم بعض القضايا الخلافية على أنها من المسلمات:

والحقيقة أن كثيرا منها يكون في محل الاجتهاد. كما أن التعاون مع العاصي والمبتدع يجوز في بعض الأمور، إذا كانت في ذلك مصلحة لعامة المسلمين مثلا، ثم إننا لو لم تتسع صدرونا لبعضنا فسيخسر بعضنا بعضًا، وتنسد أبواب التعاون والتكامل بيننا دون سبب مقبول شرعي أو عقلي؛ وخاصة أننا في وقت نقاتل فيه على أصول الدين وثوابته، وعلى هويتنا الإسلامية، وتعاوننا في قدر مجمع عليه ولا خلاف فيه، فلا يسوغ في هذا الحال التنطع في مسائل الخلاف وتمزيق الأمة بسببها[1].

الخاتمة والتوصيات

أهم النتائج:

1. وجوب احترام العلماء ومعرفة مكانتهم، وعدم الإساءة إليهم، وهذا واقع في الوسط بين طرفين، فلا تقديس، ولا تدنيس. فهناك طرف يهدر مكانة العلماء، ويستخف بأقدارهم، تحت ألفاظ براقة، مثل: ليس في الإسلام قداسة لأحد، وطرف يجعل للعلماء قداسة بحيث لا يسألون عما يفعلون. وفيه شبه من اليهود والنصارى الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وشبه من غلاة الشيعة الذين يجعلون لأئمتهم مقاماً لا يصله ملك مقرّب ولا نبي مرسل.

2. إنَّ اجتماع العلماء وتعاونهم لا بد أن يكون تحت مرجعية ربانية: لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران: 103]، والاختلاف وتعدد الاجتهادات من سنة الاجتماع البشري، بشرط ألا يكون في القطعيات وألا يصحبه

[1] ينظر: هشام برغش، **مرجعية الشريعة الإسلامية وقيام التعاون عليها**، ورقة عمل للمؤتمر الثاني للهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح بمصر.

تعصب يحول دون التنسيق والتعاون في مواضع الإجماع، أو أوقات الفتن والنوازل.

3. وجوب التصدي لمن يسعى إلى زعزعة ثقة الأمة بعلمائها: لا سيما ممن يسيطرون على كثير من وسائل الإعلام، فإن الحرب الشرسة التي يقودها هؤلاء على أهل العلم ومحاولة التهوين من شأنهم والحط من قدرهم، لا بد وأن تواجه بما يردها ويحجمها، ولا يكون ذلك إلا بعملٍ جاد شامل على صعيد الإعلام والعلاقات العامة، يبرز الوجه الحقيقي للعلماء، ويوصل إلى الجماهير التصور الصحيح عنهم.

4. استقلال العلماء: والاستقلال لا يعني الانعزال ولا المجافاة، وإنما يعني تحرر العلماء من سطوة أهواء الجماهير، ومن سطوة أهواء الحكام والمتنفذين، فالاستقلال الذي ندعو إليه هو استقلال عن كافة الأهواء البشرية والتجرد لرب البرية سبحانه وتعالى بحيث يكون هدف العالم مرضاة ربه رضي الناس أم سخطوا .وإن من الضروري لتدعيم استقلال العلماء أن تبتكر آليات ووسائل مناسبة وموضوعية لاختيار العلماء الذين يمثلون الأمة ويتكلمون بلسانها.

أهم التوصيات:

1. نشر فقه الائتلاف: إن الحاجة ماسة لنشر العلماء فقه الائتلاف، ومعاملة المخالف بالحق والإنصاف، والبعد عن الظلم والإجحاف، والذي قد تفشى في عصرنا هذا. وإنه يجب اجتماع العلماء على كلمة سواء ونبذ التفرق والأهواء، وهذا مقصد ينبغي أن نسعى إليه، لا سيما إذا اقتضى الأمر الاجتماع في مشروع ما لمعالجة واقع معين، كفتنة داهمة أو نازلة عامة، فبعض الواجبات مناطة بمجموع الأمة، وتتطلب اجتماعاً ولو مع مخالف في أصل من الأصول، وتلزم فيها المشاركة رغم الخلاف مع بعض المشتركين في أصول أو فروع، دون إقرار بما هو مختلف فيه.

2. دور العلماء في النوازل: يجب على العلماء أن يبادروا للاضطلاع بدورهم في قيادة الأمة وتوجيهها، وأن يخالطوا الناس ويقتربوا منهم، فإنهم إن تأخروا عن القيام بدورهم، تقدم غيرهم عليهم، ولا بدَّ للناس من قادةٍ يرشدونهم ويوجّهونهم "حتى إذا لم يجد الناس عالماً اتخذوا رؤوساً جهالاً فسألوهم فأفتوهم بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا"، ونحن أحوج مع هذه الثورات إلى تسنم العلماء مواقع القيادة والريادة فيها، وترشيدها وتوجيهها، حتى لا تختطف ويوجهها أعداء الإسلام حسب مخططاتهم ووفق ما يخدم مصالحهم.

3. الحذر من تغييب العلماء لدورهم: على العلماء أن يحذروا من أن يقوموا هم بتغييب دورهم بأنفسهم بالانغلاق والانكفاء على الذات، بدعوى الخوف من الانحراف والزيغ، فالمراد من العلماء هو الاضطلاع بدور الريادة والقيادة مع التمسك بأمر الله قدر المستطاع، فإن قدر وإلا عُذر.

4. الاحتساب مِنْ قِبَل العلماء الراسخين على الرويبضات الذين يدّعون العلم وينتسبون إليه من غير أهله، وتبيين حالهم للناس، وإن من غِشِّ الأمة ترك الاحتساب على أولئك المتعالمين، وإن الجهود المكثفة والسديدة،

والإنتاج الوافر من قبل العلماء ذوي المكانة والكفاءة، ليفوّت الفرصة على أولئك المتعالمين.

يقول ابن القيم رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكان شيخنا رضي الله عنه شديد الإنكار على هؤلاء، فسمعته يقول: قال لي بعض هؤلاء: أجُعلتَ محتسباً على الفتوى؟! فقلت له: أيكون على الخبازين والطبَّاخين محتسب ولا يكون على الفتوى محتسب؟!"[1]

5. المؤسسية لا الفردية: الحرص على العمل المؤسسي في الدعوة والتعليم والإصلاح، وذلك أن الجهد الفردي – مهما كانت قدرات صاحبه ومواهبه – لا يمكن أن يوازي جهده حينما يكون مضموماً إليه جهود وخبرات الآخرين ومواهبهم وطاقاتهم، حتى ولو كانوا أقل منه كطلابه أو عامة الناس من أصحاب التخصصات المتنوعة التي تحتاجها الأمة.

6. ضرورة التعاون والتنسيق بين المؤسسات التي تجمع العلماء: كاتحادات وملتقيات العلماء، والمجامع الفقهية، والسعي إلى التكامل بينها، والتنافس المحمود لا المذموم، والتنوع لا التضاد، وتنسيق المواقف والجهود، لاسيما في وقت الأزمات والنوازل التي تحل بالأمة، وتستوجب التكاتف والتعاون على البر والتقوى.﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ [المائدة:2].

والله نسأل أن يجمع شمل العلماء على البر والتقوى، والخير والهدى، وأن يوحد صفوفهم على الحق المبين، وأن يسلك بهم طريق الأنبياء والمرسلين.. كما نسأله سبحانه حسن الخاتمة في الدنيا والآخرة. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين** 167/4 بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1411هـ.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] ‘Abd al-Salām Barjas Āl ‘Abd al-Karīm، min hum al-‘ulamā’? muḥāḍarah mnswkhh www. minhajnobowa. net / articles / view / 1

[2] ‘Abd-al-Raḥmān ibn Mu‘allā al-Luwayḥiq، Qawā‘id fī al-ta‘āmul ma‘a al-‘ulamā’، Dār al-Warrāq lil-Nashr wa-al-Tawzī‘، al-Ṭab‘ah al-ūlá 1415h

[3] Abū Na‘īm، Abū Na‘īm Aḥmad ibn ‘Abd Allāh ibn Aḥmad ibn Isḥāq ibn Mūsá ibn Mahrān al-Aṣbahānī، Ḥilyat al-awliyā’ wa-ṭabaqāt al-aṣfiyā’، Miṣr، Dār al-Sa‘ādah 1394h-1974m

[4] Aḥmad ibn Ḥanbal، Abū ‘Abd Allāh Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ḥanbal ibn Hilāl ibn Asad al-Shaybānī، Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal، al-muḥaqqiq: Aḥmad Muḥammad Shākir، al-Qāhirah، Dār al-ḥadīth، al-Ṭab‘ah: al-ūlá، 1416 H-1995 M.

[5] al-Alūsī، Nu‘mān ibn Maḥmūd ibn ‘Abd Allāh، Abū al-Barakāt Khayr al-Dīn، Jalā’ al-‘Aynayn fī Muḥākamat al-Aḥmadayn، qaddama la-hu: ‘Alī al-Sayyid Ṣubḥ al-madanī، Maṭba‘at al-madanī، ‘ām al-Nashr: 1401 H-1981 M

[6] al-Barbahārī، Abū Muḥammad al-Ḥasan ibn ‘Alī ibn Khalaf al-Barbahārī، sharḥ al-Sunnah

[7] al-Bukhārī، Muḥammad ibn Ismā‘īl Abū Allāh al-Bukhārī al-Ju‘fī، Ṣaḥīḥ al-Bukhārī al-Jāmi‘ al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh ṣallá Allāh ‘alayhi wa-sallam wsnnh wa-ayyāmuh، al-muḥaqqiq: Muḥammad Zuhayr ibn Nāṣir al-Nāṣir، Dār Ṭawq al-najāh، al-Ṭab‘ah: al-ūlá، 1422h

[8] al-Dhahabī، Shams al-Dīn Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān ibn qāymāz al-Dhahabī، Siyar A‘lām al-nubalā’، taḥqīq Shu‘ayb al-Arnā’ūṭ wa-ākharīn، Mu’assasat al-Risālah، Bayrūt، 1410h

[9] al-Dhahabī، Shams al-Dīn Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān ibn qāymāz al-Dhahabī، Tārīkh al-Islām wawafyāt al-mashāhīr wāl’‘lām، al-muḥaqqiq: al-Duktūr Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf، Dār al-Gharb al-Islāmī، al-Ṭab‘ah: al-ūlá، 2003 M

[10] al-Khaṭīb al-Baghdādī، Abū Bakr Aḥmad ibn ‘Alī ibn Thābit ibn Aḥmad ibn Mahdī al-Khaṭīb al-Baghdādī، al-Jāmi‘ li-akhlāq al-Rāwī wa-ādāb al-sāmi‘، al-muḥaqqiq: D. Maḥmūd al-Ṭaḥḥān، al-Riyāḍ، Maktabat al-Ma‘ārif

[11] al-Khaṭīb al-Baghdādī، Abū Bakr Aḥmad ibn ‘Alī ibn Thābit ibn Aḥmad ibn Mahdī al-Khaṭīb al-Baghdādī، Tārīkh Baghdād، al-muḥaqqiq: al-Duktūr Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf Bayrūt، Dār al-Gharb al-Islāmī، al-Ṭab‘ah: al-ūlá، 1422h-2002 M

[12] al-Ṭabarī، Muḥammad ibn Jarīr ibn Yazīd ibn Kathīr ibn Ghālib al-Āmulī، Abū Ja‘far al-Ṭabarī، tafsīr al-Ṭabarī Jāmi‘ al-Bayān fī Ta’wīl al-Qur’ān، al-muḥaqqiq: Aḥmad Muḥammad Shākir، Mu’assasat al-Risālah، al-Ṭab‘ah: al-ūlá، 1420 H-2000 M

[13] al-Tirmidhī، Muḥammad ibn ‘Īsá ibn sawrh ibn Mūsá ibn al-Ḍaḥḥāk، al-Tirmidhī، Abū ‘Īsá، Sunan al-Tirmidhī، taḥqīq Aḥmad Shākir wa-ākharīn، Bayrūt، Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah، 1994m

[14] al-Zamakhsharī، Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn ‘Amr ibn Aḥmad، al-Zamakhsharī Jār Allāh، al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl، Bayrūt، Dār al-Kitāb al-‘Arabī، al-Ṭab‘ah al-thālithah-1407 H

[15] Hishām Barghash، Marji'īyat al-sharī'ah al-Islāmīyah wa-qiyām al-Ta'āwun 'alayhā، Waraqah 'amal lil-Mu'tamar al-Thānī lil-Hay'ah al-shar'īyah lil-Ḥuqūq wa-al-iṣlāḥ bi-Miṣr.

[16] Ibn al-Ḥājj، Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Muḥammad ibn Muḥammad al-'Abdarī al-Fāsī al-Mālikī al-shahīr bi-Ibn al-Ḥājj، al-Madkhal، Dār al-Turāth

[17] Ibn al-Jawzī، Jamāl al-Dīn Abū al-Faraj 'Abd al-Raḥmān ibn 'Alī ibn Muḥammad al-Jawzī، Ṣifat al-Ṣafwah، al-muḥaqqiq: Aḥmad ibn 'Alī، al-Qāhirah، Dār al-ḥadīth، 1421h / 2000M

[18] Ibn 'bdālhādy، Muḥammad ibn Aḥmad 'Abd al-Hādī al-Maqdisī، al-'uqūd al-durrīyah fī dhikr ba'ḍ manāqib Shaykh al-Islām Ibn Taymīyah، taḥqīq: 'Alī ibn Muḥammad al-'umrān، al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah، Dār 'Ālam al-Fawā'id lil-Nashr wa-al-Tawzī'

[19] Ibn Ḥajar، Abū al-Faḍl Aḥmad ibn 'Alī ibn Muḥammad ibn Aḥmad ibn Ḥajar al-'Asqalānī، al-Durar alkāmnh fī a'yān al-mi'ah al-thāminah، al-muḥaqqiq: Murāqabat: Muḥammad 'Abd al-mu'īd ḍān، al-Hind، Majlis Dā'irat al-Ma'ārif al-'Uthmānīyah، al-Ṭab'ah: al-thāniyah، 1392h / 1972m

[20] Ibn Ḥajar، Abū al-Faḍl Aḥmad ibn 'Alī ibn Muḥammad ibn Aḥmad ibn Ḥajar al-'Asqalānī، Tahdhīb al-Tahdhīb، al-Hind، Maṭba'at Dā'irat al-Ma'ārif al-niẓāmīyah، al-Ṭab'ah al-ūlá، 1326h.

[21] Ibn Kathīr، Abū al-Fidā' Ismā'īl ibn 'Umar ibn Kathīr al-Qurashī al-Baṣrī thumma al-Dimashqī، tafsīr Ibn Kathīr tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm، al-muḥaqqiq: Sāmī ibn Muḥammad Salāmah، Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzī'، al-Ṭab'ah: al-thāniyah 1420h-1999 M.

[22] Ibn Kathīr، Abū al-Fidā' Ismā'īl ibn 'Umar ibn Kathīr al-Qurashī al-Baṣrī thumma al-Dimashqī، al-Bidāyah wa-al-nihāyah، taḥqīq: 'Abd Allāh ibn 'Abd al-Muḥsin al-Turkī، Dār Hajar lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī' wa-al-I'lān

[23] Ibn Nāṣir al-Dīn، Muḥammad ibn 'Abd Allāh Abī Bakr ibn Muḥammad Ibn Aḥmad ibn Mujāhid al-Qaysī al-Dimashqī al-Shāfi'ī، Shams al-Dīn، al-shahīr bi-Ibn Nāṣir al-Dīn، al-radd al-wāfir، al-muḥaqqiq: Zuhayr al-Shāwīsh، Bayrūt، al-Maktab al-Islāmī al-Ṭab'ah: al-ūlá، 1393h

[24] Ibn Qayyim al-Jawzīyah، Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb ibn Sa'd Shams al-Dīn Ibn Qayyim al-Jawzīyah، I'lām al-muwaqqi'īn 'an Rabb al-'ālamīn، taḥqīq: Muḥammad 'Abd al-Salām Ibrāhīm، Bayrūt، Dār al-Kutub al-'Ilmīyah، al-Ṭab'ah: al-ūlá، 1411h-1991m

[25] Ibn Qayyim al-Jawzīyah، Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb ibn Sa'd Shams al-Dīn Ibn Qayyim al-Jawzīyah، Madārij al-sālikīn bayna Manāzil Iyyāka na'budu wa-iyyāka nasta'īn، al-muḥaqqiq: Muḥammad al-Mu'taṣim billāh al-Baghdādī، Bayrūt، Dār al-Kitāb al-'Arabī، al-Ṭab'ah: al-thālithah، 1416 H-1996m

[26] Ibn Sa'd، Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Sa'd ibn Manī' al-Hāshimī bālwlā'، al-Baṣrī، al-Baghdādī al-ma'rūf bi-Ibn Sa'd، al-Ṭabaqāt al-Kubrá، al-muḥaqqiq: Iḥsān 'Abbās Bayrūt، Dār Ṣādir، al-Ṭab'ah: al-ūlá، 1968 M

[27] Khālid al-Lāḥim، Mafātiḥ tadabbur al-Qur'ān، al-Riyāḍ، Dār al-waṭan، al-Ṭab'ah al-thāniyah، 1428h

[28] Muḥammad ibn Aḥmad ibn Ismā‘īl al-Muqaddim، al’i‘lāmu bi-ḥurmti ahli al‘lmi wāl’islāmi، al-Riyāḍ، dāru Ṭaybah-maktbtun al-Kawthar، al-Ṭab‘ah al-ūlá، 1419 H-1998 M

[29] Muḥammad Munīr Sa‘d al-Dīn، al-‘ulamā’ ‘inda al-Muslimīn، makānatahum wa-dawruhum fī al-mujtama‘، Bayrūt، Dār al-Manāhil، al-Ṭab‘ah al-ūlá، 1412 H

[30] Muslim، Sullam ibn al-Ḥajjāj Abū al-Ḥasan al-Qushayrī al-Nīsābūrī، Ṣaḥīḥ Muslim al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi-naql al-‘Adl ‘an al-‘Adl ilá Rasūl Allāh ṣallá Allāh ‘alayhi wa-sallam، al-muḥaqqiq: Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī، Bayrūt، Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī

[31] Ṭāriq al-Khuwayṭir، Makānat al-‘ulamā’ fī al-ummah al-Islāmīyah، manshūr ‘alá Mawqi‘.. msf-online. Com

[32] Yāqūt al-Ḥamawī، Mu‘jam al-Udabā’، Bayrūt، Dār Ṣādir، 1999 M